اثبات الروح بالمباحث النفسية

تجارب العلماء على الوسطاء

٧

كلمة في مصلحة هذا البحث — اني مع احترامي لرأي المقتطف ولكل رأي يخالف رأيي ارى من حقي ان ادفع عن مستنداتي وجوه التجريح

اجاب المقتطف على سؤال لبعض قرائهِ في صفحة (٢٦١) فذكر ان عدم اعتراف كاميل فلامريون بحادثة اقار اورانوس وبقية رواية ديكنز يعتبر بينة قوية على عدم صحتهما . وقد بينا رأي فلامريون في ذلك الجزء نفسهِ في امثال هذه التجارب فلا نعود اليهِ هنا

وقد نقل المقتطف اقوال بعض الفلكيين الذين لا يزالون يعتقدون ان اقار اورانوس تدور من المشرق الى المغرب . وانا اخشى ان يتسرب الى ذهن القارىء ان الجنرال دريزون صاحب هذه التجربة الروحية يحكم بانما ذكرتهُ الروح اصبح رأي (١) العلماء كلهم . لذلك انبه القارىء الى انهُ قال كما نقلتهُ عنهُ في صفحة (١٢٣) من المقتطف :

«وفي سنة ١٨٦٢ فسرت امر هذا السر المزعوم في كتاب فلكي صغير دعوتهُ (نظرة في السموات) ولكن تأثير رأي الائمة كان شديداً حتى انهُ لم يبدأ اعتراف المشتغلين بعلم الفلك بأن حركة توابع أورانوس منسوبة لموضع محور هذا الكوكب الا في أيامنا هذه » انتهى

فهو يقرر ان الاعتراف بذلك لم يبدأ الا حديثاً وهو نفسهُ باعتباره عالماً فلكياً جرى عليهِ

وقال المقتطف في صفحة (٢٦٢) عند نقده هذه التجربة (ليس ثم دليل على أن الوسيطة نطقت بهِ) والشك في نسبتهِ للوسيطة معناه الشك في صدق الجنرال

(١) (المقتطف) اذا قال عالمان من اشهر علماء الفلك انا رصدنا اقار اورانوس فوجدناها تدور من الشرق الى الغرب لا يكون قولهما من قبيل الرأي او الاعتقاد بل من قبيل النتائج العلمية كما اذا قال مهندسان اني مسحت الاطيان الفلانية فوجدت مساحتها خمسة وسبعين فدانا . فاذا وجده الفلكيان سليمة ولو في مرصد من اكبر مراصد الدنيا منذ بضع سنوات فقط يجب الاخذ به الى ان يثبت انهما غلطا في حسابهما

دريزون أي يجوز أن يكون قد اختلق هذه الحادثة وقول الوسيطة ما لم تقل . وفي رأيي أنهُ لا يصح أن يصير الناقد الى هذه الدرجة من الشك في صدق مجرب الاَّ اذا كانت هنالك قرائن تسوغهُ . ولا نرى نحن قرينة واحدة في ذلك. فالجنرال دريزون حاصل على أعلى الالقاب العسكرية في أرقى أمة أوربية ومعروف بمباحثهِ الفلكية . وكتاباتهُ من الاعتبار بحيث تسجل في مذكرات الجمعية الملكية للعلوم . ولم ينفرد من بين العالم بالنقل عن الارواح . ففي الارض ملايين من أهل العقل والبصر يحذون حذوه في هذه المباحث فاي قرينة تسوغ لنا أن نصمهُ بنقيصة لا يتقدم عليها الأَكل مجرد عن الشرف عار عن الأدب

أما ما ذكره المقتطف عن رواية ديكنز واستشهاده بما ذكرته الجريدة الامريكية عن المقطم ففيهِ نظر فان هذه التجربة لم تنفرد بروايتها تلك الجريدة بل نصت عليها مجلة الاسبريتواليست الانجليزية كما نقلناه عنها في الصفحة (١٢٥) من المقتطف وكانت التجربة في جمعية المباحث النفسية في مدينة براتلبورغ من الولايات المتحدة . وقد تناولها النقدة من الانجليز ومنهم الاخصائي المستر هاريسون فقرروا انها لا تفسر بالغش والتدليس فليرجع من شاء لما كتبناه عنها في المقالة السادسة

أما ما ذكره المقتطف عن الجريدة الامريكية التي قرظت المقطم فانا لا نستطيع ان نشك في صحتهِ حرصاً على آداب النقد ولكني اقول لعل تلك الجريدة خلطت بين المقطم والاهرام فان المرحوم بشاره باشا كتب عن نفسهِ انهُ لقي في اول تأسيس الاهرام من المتاعب ما لم يلقهُ غيره وقال بانهُ كان هو وحده يحرر مقالاتهِ السياسية واخباره اليومية ويترجم تلغرافاتهِ ويرتبها ويشرف على توزيعهِ وادارتهِ جامعاً في شخصهِ بذلك وظائف لا يقوم بها الا عدة رجال . والا وجب علينا ان نحكم بان الجرائد الامريكية (١) من السخف وقرائها من البله في حضيض ليس دونهُ حضيض.

(١) (المقتطف) يقول المثل الغرض رمي ويصح ويبعض الجرائد الاميركية غرضها الاول في الغالب تسلية القراء فذكر الفرائد المدهشة واليكم مثالاً من ذلك يتعلق بموضوعنا ذكره الفلكي الكبير الاستاذ نيوكمب شهر فلكيي اميركا بالاجماع في مقالة نشرها في مجلة القرن التاسع عشر ولخصناها حينئذٍ في مقتطف مارس سنة ١٩٠٩ وهو

«وسنة ١٨٥٨ احتدمت نار الجدال في جريدة من جرائد اميركا في امر مناجاة الارواح والوسطاء وانتهى الجدال بان واحداً عرض مبلغاً طائلاً من المال جائزة للوسيط الذي يحرك مائدة من غير ان

وهذا الحكم لا يتفق وما عليهِ الامريكيون من التبريز في كل مجال من مجالات العلم والعمل والضرب في المدنية الانسانية بأوفر السهوم وأوفر الحظوظ

وبعد فليس رمينا عرض الحائط بكل هذه الشهادات الانسانية والمشاهدات العلمية التي لوحظت فيها ادق الشروط التجريبية على ايدي أعقل افراد الامم وابعدهم نظراً واكثرهم شكوكاً من الامثلة الحسنة التي ننقشها في نفوس من يحتذون شاكلتنا من القارئين . فلو اتيح لي او لحضرة العلامة صاحب هذه المجلة ان نجرب هذه المشاهدات ونقرر ما قرره قبلنا الملايين من الفضلاء لما كان حظنا ان استحسنا هذا الاسلوب من النقد وجرينا عليهِ باحسن من خبط اعلام العلم واركان العقل فيتهمنا تلاميذنا باننا نكذب فيما نقول او اننا بين السذاجة بحيث ننخدع باحابيل المشعوذين

عود لموضوعنا الاصلي

اتينا في الاجزاء الماضية على عدة امثلة من خواص الوساطة التي يخيل للبعض انها نوع من الكهانة او العرافة او الشعبذة . والواقع اننا جميعاً حاصلون على خاصة الوساطة ولكن على درجات شتى . وقد ظهرت هذه الخاصة في الوف مؤلفة من اعلياء الاوربيين بين رجال ونساء . فكانت وسيطة الوزير الروسي اكزاكوف امرأتهُ وهي من اعرق البيوتات الروسية . وكانت وسيطة ادموندس رئيس مجلس الشيوخ الامريكي ابنتهُ المسماة لورا . وكان المستر ستيد الكاتب الانجليزي

يلمسها او يقرأ ورقة من غير ان يراها او يقرع قرعة لا يعرف سببها . واشترط ان يكون ذلك امام لجنة يعينها هو . فقبل رئيس المعتقدين بمناجاة الارواح طلبه وأتى باشهر الوسطاء من اماكن مختلفة والفت اللجنة من ثلاثة وهم الاستاذ لويس اظهر واستاذان آخران من اساتذة مدرسة كمبردج الاميركية وجرى الامتحان في منزل بوستن فلم يفتح الوسطاء في شيء واستصغر اولئك الاساتذة انفسهم لما رأوا انهم جلسوا ساعة بعد ساعة ولم يروا شيئاً يستحق الذكر . ولم يعمل الوسطاء الا بعض ما يسمونهُ المشعوذون عادةً وكان عذرهم عن فشلهم ان الارواح لا تظهر امام اناس لا يؤمنون بها . ومن ثم لم يعد الاستاذ نيوكم ينبأ بما يسمع من مناجاة الارواح بل كان يقول للذين يكلمونه في هذا الموضوع ايتوني بوسيط تعتقدون صدقه وتدعوني امتحنه على انفراد واخبرأ وجد الوسيط المطلوب وهو فتاة سمتها لورا هرست عملت اعمالها المدهشة امام جماعة كبيرة وهو بينهم لكنها لم تدع انها فعلت شيئاً خارق العادة بل اظهرت كيف فعلت كل ما فعلت . واتضح حينئذٍ ان كل ما سمعه الاستاذ نيوكم عنه قبلاً كان من قبيل المبالغة والوهم . وكان هناك جمهور من مجربي الجرائد فصدرت جرائدهم وفيها أغرب الاخبار كأن الفتاة فعلت أعجب ما يدعيه مناجو الارواح . فتأمنوا

الكبير وسيط نفسه فكانت الروح تستولي على يده فتكتب ما شاءت الارواح ان تبلغهُ اياه . وكان على هذه الحال ايضاً العالم اللاهوتي الانجليزي سلتون موزس. وكان وسيط الجمعية العلمية الرسمية التي تكونت في لوندره لتقديم تقرير عن الاسبرتسم واحداً منهم فلم يحتاجوا لوسيط مأجور . وكان الضابط الانجليزي بول الذي تولى مصلحة الاتجار مع الاعداء في اثناء الحرب في بلادنا هذه وسيط نفسه ايضاً . فذكر في كتابهِ (العسكري دودنج) ان الروح استولت على يده فاملت عليهِ ذلك الكتاب وفيهِ تنبؤات كثيرة ظهر منها ما جاء وقتهُ كتاريخ وقوف رحى الحرب العامة وتاريخ ابرام الصلح مع ان ذلك الكتاب أملي عليهِ قبل الصلح بسنتين وقد قال المقطم عقب ايراده هذا التنبؤ في عدده الصادر في ٨ مارس سنة ١٩١٩

« هذا ما نقلناه من الحديث المذكور وأعظم ما يقع منهُ في نفس القارىء النبوءة الخاصة بانتهاء الحرب وعقد الصلح فانها كتبت سنة ١٩١٧ كما تقدم ولم يكن في سير الحرب ما يدل على موعد نهايتها وتاريخ عقد الصلح »

ان خواص الوساطة تعتبر خطأً من علم ما وراء الطبيعة وما هي في الواقع الا من العلم الطبيعي نفسهِ . فالباحث الذي يتيم شخصاً نوماً مغناطيسياً وينظر فيما يكتسبهُ من الخصائص العقلية والروحية وهو في تلك الحالة لا يقال عنهُ انهُ يبحث فيما وراء الطبيعة بل يقال انهُ وسع من دوائر بحثهِ الطبيعي فبعد ان كان يقصره على درس خصائص المادة الجسدية تخطى الى درس خصائص الحياة المستكنة فيها. وكذلك الباحث الذي يجلس واخوان له حول خوان ويعمل على الاتصال بعالم الروح لا يقال انهُ يبحث في علم ما وراء الطبيعة بل يقال انهُ يتخطى ببحثهِ الدوائر التي حدها المذهب المادي الى الدوائر التي تظهر فيها خصائص الروح . فالذين يزعمون ان هذه المباحث من علم ما وراء الطبيعة ويلفظونها بهذا الاعتبار يقفون في وجه العلم الطبيعي نفسه . ويصدون عن سبيله ويحكمون عليهِ بان لا يتعدى الدوائر الضيقة التي حدها له القصور العقلي وهو حكم يأباه الرقي المطرد للعلم نفسهِ

على بعض النقدة في اوروبا هذه المشاهدات تعليلات شتى فلم يقو واحد منهم على النقد واضطر النقدة واحداً بعد الآخر الى التسليم بحقية هذه المشاهدات الا الذين لم تتح لهم تجربتها . ونحن هنا نأتي على طائفة من المشاهدات من انواع

شتى لا تفسر بالخدع والانخداع ولا بالبله والسذاجة ننتخبها من ملايين من امثالها لننتقل منها الى فصول اخرى من اول المقالة الثامنة المقبلة

وسائلة الاطفال الرضع

ذكر المستر كابرون Capron في كتابه المسمى (The modern spiritualism) أي المذهب الروحي في العصر الحاضر في صفحة (٢١٠) قال :

« روى لنا المستر لوروا سندرلاند أن المسائل التي كان يطرحها على الروح كان يجاب عنها بالقرع على الخوان . وكانت الوسيطة ابنتهُ مارجريت أو ابنتها الطفلة وكانت لا تزيد سنها عن سنتين. قال فكنت أمسك الطفلة بين يدي ولا يكون معنا أحد فتجيبنا الارواح بالقرع المصطلح عليه »

وجاء في كتاب المذهب الروحي بامريكا في العصر الحاضر The Modern American Spiritualism أن البارون سيمون كيركوب كتب الى المستر جنكن مؤلف ذلك الكتاب يقول :

« كانت ابنتي وسيطة ولم تتجاوز سنها سنتين وقد بلغت الآن من العمر احدى وعشرين سنة . وقد كتبت طفلتها بيدها تحت تأثير الارواح ولم تتجاوز سنها التسعة الايام (تاسوعا) وقد حافظت على الرسائل التي كتبتها وها أنا مرسل اليكم بصورة فوتوغرافية لتلك الكتابات

« لم تحمل ابنتي هذه الطفلة غير سبعة أشهر ثم وضعتها في حجم صغير جدًّا . فكانت ابنتي ترفع هذه الطفلة على وسادة باحدى يديها وتمسك بيدها الاخرى كتاباً عليه ورقة بيضاء وما كنا ندري بأية كيفية ينتقل القلم الى الطفلة فكانت تمسكه بيدها بقوة . فكتبت أولا الحروف الاولى لاسماء الاربعة الارواح التي تلازمها وهي R. A. D. J. ثم سقط القلم من يدها فظننت أن الامر قد وقف عند هذا الحد ولكن ابنتي الاخرى اعوجين صاحت قائلة انها قد عاودت القبض على القلم فكتبت الطفلة الجملة الآتية : (لا تغير شيئاً فهذا برهان جلي وافعل ما أمرناك به . أستودعك الله) وأنت ترى ذلك في الصورة الفوتوغرافية المرسلة اليك »

تكلم الوسطاء بعدة لغات يجهلونها

كتب المستر ادموندس الذي كان رئيساً لمجلس الشيوخ الامريكي في كتابه

المذهب الروحي The Spiritualism عن وساطة ابنتهِ وهو من سراة الاميركيين وتراجمهم قال :

« ظهرت في ابنتي (لورا) خاصة الوساطة ولكنها ما كانت تقع في اثناء أثناء حضور الارواح . وكانت تلك الارواح تستولي على لسانها فتتكلم بلغات مختلفة ولم تكن تعرف في حالتها العادية الاَّ لغتها الاصلية واللغة الفرنسية . ولكنها متى استولت الارواح على لسانها كانت تتكلم بتسع أو بعشر لغات بسهولة تامة »

ومثل الرئيس ادموندس لا يصح اتهامهُ بالبله والخبل ولا اتهام ابنتهِ بالتزوير والتدليس . وأمثلة تكلم الوسطاء باللغات المجهولة كثيرة لا تحصى

تلقي الوسيط رسائل متعددة في وقت واحد

ذكر الدكتور (ولف) في كتابهِ Starting facts in modern Spiritualism عن وسيطهِ منسفيلد يقول :

« رأيت منسفيلد وهو يتلقى عن الارواح وقد استولت روح على يده اليمنى وروح على يده اليسرى فأخذتا تكتبان بلغة يجهلها . وبينما كانت يداه تكتبان كان هو نفسهُ يكلمني في أمور أخرى »

وذكر الاستاذ كروكس في كتابهِ المباحث النفسية Researches psychiques صفحة ٩٥

« رأيت المس كيت فوكس بينما كانت تكتب بيدها تحت تأثير روح ردًّا على سؤال أحد الحاضرين كانت روح أخرى تملي بواسطتها جواباً لرجل آخر من الحاضرين بطريقة القرع . وكانت الوسيطة نفسها في تلك الحالة تتكلم مع شخص ثالث في أشياء لا علاقة لها بالارواح »

التخاطب بواسطة الارواح من أقوف الاميال

ذكر المستر ادموندس رئيس مجلس الشيوخ الاميركي المذكور آنفاً في المجلد الاول من كتاب (The Spiritualism) صفحة ٣٠ :

« بينما كنت أسيح في أميركا الوسطى كان أصحابي يقفون على أخباري منتظرة بواسطة الارواح يوماً فيوماً وهم في نيويورك . أول اجتماعهم للسؤال عني كان بعد سفري بأربعة أيام وأنا على بعد ٥٠٠ ميل منهم ولم تقابلنا في طريقنا سفينة حتى يتوهم أنها نقلت من أخباري اليهم »

ثم سرد تفصيلات ما أخبرتهم به واتفاقها التام مع مذكراته اليومية

وكتب الاستاذ الامريكي روبرت هار في كتابه (المباحث التجريبية على الحوادث النفسية) فقال :

« لما كنت في كيب مي Cape May بايسلاندة كلفت الروح الملازمة لي أن تذهب الى فيلادلفيا (بامريكا) عند ميسز جورلي وأن تبلغها اني أرجو زوجها أن يذهب الى بنك فيلادلفيا ويستفهم منهُ عن تاريخ حوالة كانت لي فيهِ. وكلفتها بأن تخبر الميسز جورلي أيضاً بأني في منتصف الساعة الرابعة سأجلس أمام السبريتوسكوب (الة عليها الحروف الهجائية للتخاطب مع الارواح) لتسلم الجواب . وكانت الساعة اذ ذاك واحدة بعد الظهر وفي الساعة المحددة عادت الروح وأخبرتني بنتيجة عملها

« فلما عدت الى فيلادلفيا حدثتني مدام جورلي بأن الروح التي أرسلتها اتفق حضورها في ساعة كانت هي تتخاطب فيها مع روح أخرى فقطعت عليهما التخاطب وأدت اليها رسالتي وكان اخوها وزوجها حاضرين فقاما من فورهما الى البنك واستفهما عن الامر الذي عناني ووصلتني نتيجة مساعيهما في اليوم تفسهِ

« وكان عامل البنك قد أعطاني تاريخاً خاطئاً عن الحوالة التي انا بصددها وكنت انتظر مجيء الجواب مطابقاً لحسابي ولكن لما ذهب روح مدام جورلي واخوها الى ذلك العامل تحرى التاريخ واعطاهما اياه صحيحاً هذه المرة فجاءت الروح بتاريخ لم أكن انتظره ولا اتوقعه » انتهى

هنا يمكن ان يقول معترض : اذا كان قد بلغ من قدرة الباحثين في الارواح ان يتخاطبوا على بعد آلاف الاميال فهم لا يكتفون بها عن التلغراف اللاسلكي الخ الخ

فأقول بان الارواح لا يمكن استخدامها لأغراضنا الدنيوية فهي ان اطاعت الباحثين في نقل الاخبار وجلب الاشياء واحداث الخوارق فانما تفعل ذلك لاقامة الدليل لهم على انها حية باقية مدركة وقد صرحت بذلك الف مرة . ولكن الفائدة المنتظرة من عقيدة وجود الارواح وخلودها لا يمكن للعقل تقديرها في مثل هذا القرن وما يليهِ . فالمذهب المادي ساق الناس الى تيار أدهم الى الاباحة المطلقة واطفأ في صدورهم جذوة الامل فأظلمت القلوب ولم تجد لها متنفساً إلا في

الافراطات من كل نوع . هذا ولا تزال بقية في النفوس من عقيدة موروثة فما بالك لو ذهبت تلك البقية الموروثة ايضاً وتحقق الانسان علمياً انه كمية مهملة في الوجود لا تبالي النواميس في أية زاوية من زوايا العدم قذفت بها ؟ فجاء المذهب الروحاني اليوم يثبت للناس من طرايق الحس والعيان وجود العالم الروحاني وخلود النفس بعد الموت في عالم كله جمال وجلال وترق لاحد له ولذات عقلية وروحية لا تنتهي الى غاية . فنحن لا نحتاج للارواح لتخدمنا في امورنا الدنيوية ولكننا نحتاج لها لتثبت وجودها باي الطرق شاءت

ان ما اوردته في باب خواص الوساطة شيء لا يذكر في جنب الملايين من المشاهدات التي تنعم بها المؤلفات التي وضعها الافراد والجماعات . وناهيك ان الملايين من الافراد والالوف من الجمعيات دأبت منذ اكثر من سبعين سنة على التجارب وتدوينها . فالذي حمى رؤوس الباحثين الاوربيين من اهل الشكوك المستعصية والالحاد المصمت ليس بالأمر الهين . فان توالي هذه المشاهدات في مدى ثلاثة ارباع القرن على ايدي رجال لا يخشون في الحق لومة لائم من العلماء والكتاب والصحفيين والسياسيين والاطباء والمهندسين والاصوليين على الاسلوب العلمي الحاصل على ادق الشروط التجريبية هو الذي اعطى المذهب الروحي هذا الوزن في اوروبا واميركا ومكنه من ضرب المذهب المادي ضربة لا قيام له بعدها

ولو كان مجموع هذه الشهادات والتجارب في مدى هذا الزمن كله وعلى ايدي هؤلاء الرجال الذين ذكرناهم في ارقى امم العالم مما يسهل تعليله بالخدع والانخداع وعدم التفرقة بين الشعوذة والمشاهدة العلمية أو بالبله والخبل فعلى العقل الانساني وعلى التجارب والمشاهدات وعلى العلماء والاذكياء وعلى الباحثين من كل أمة وفي كل اجيال البشر السلام

محمد فريد وجدي